تاريخ وقصيدة وشقائق نعمان

في الذكرى المئوية لقتلى بريطانيا ومستعمراتها في الحرب العالمية الأولى غُرس أكثر من ثمانمائة وثمانية وثمانين ألف زهرة من أزهار شقائق النعمان المصنوعة من الخزف حول الحصن الذي كانوا يؤدون القسم أمامه بلندن قبل أن يتجهوا للقتال، كل زهرة تمثل جندياً..

تصطف الزهور الخزفية بعددها المهول كبقعة دمٍ هائلة الحجم تهبط من مكانٍ بالحصن وتنتشر حولها في عملٍ من أكبر الأعمال الفنية المعاصرة. اختيار الزهرة منذ عشرات السنين كرمز لذكرى الجنود الذين قضوا في تلك الحرب مبنيّ على ورود ذكرها في قصيدةٍ مؤثرة لجنديّ في رثاء وتمجيد هؤلاء الجنود.. القصيدة تأخذك بعيداً.. إلى حيث تنمو شقائق النعمان ويرقد هؤلاء الجنود رقدتهم الأخيرة.. للموت هيبة وشجن، والقصيدة تمَسّك كإنسان مهما كان الميت غريباً عنك..

استوحى الفنان المصمم ثيمته من صور القصيدة. وهذه التحفة الفنية التي تُعد لها بريطانيا منذ عامين ما كانت لتتشكل لولا التقاء الفن بالأدب والتاريخ وقبل كل ذلك بالوفاء..

أراد الفنان كما قال أن يرى الآخرون كم مات من الناس من خلال هذه الأزهار، لأن الزهرة التي يستطيعون رؤيتها ليست كالرقم. وهذا أجمل ما سمعت مؤخراً..

أعترف أنني (كإنسانة ضد أيّ عملية قتل) ما كنت لأشعر بأدنى تعاطف مع هؤلاء الجنود لو لم أقرأ القصيدة، كما وأعتبر اهتمام الدولة الهائل سلوكاً متناقضاً قليلاً، فما الذي يستفيده أولئك فعلياً من هذا التكريم بعد أن ذهبت حياتهم غير جنيهات قليلة تصل لذويهم من ريع الأزهار؟ ولماذا يموت الملايين تنفيذا لرغبة ملوكٍ يشتهون الإبقاء على سلطتهم أو يسعون إلى المزيد منها..

ولكن يظل التكريم لفتةً تنم على احترامٍ للإنسان، نفتقده في أماكن كثيرة من وطننا العربي..

كم زهرة من الخزف يا ترى نحتاج لتمثيل أطفال سوريا والعراق وليبيا واليمن ولتمثيل كل الأبرياء الذين واراهم التراب؟

دعد خليفة

نشر بالملحق الثقافي للشرق القطرية بتاريخ ٢٠١٤/١١/٩م

أخذت الصورة من فيديو باليوتيوب للمستخدم: Nick Rowe